

سبعون عاماً على سقوط مدينة حيفا



في سنة 1948 كان يقطن في مدينة حيفا نحو 70000 عربي فلسطيني، وما يقارب هذا العدد من اليهود. وعقب صدور قرار تقسيم فلسطين الدولي في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، بدأت قوات "الهاغانا" الصهيونية المتمركزة في الأحياء اليهودية، الواقعة على هضاب جبل الكرمل وتلاله، قصف الأحياء العربية، وتنفيذ عمليات تخريبية فيها، ثم راحت توزع مناشير بالعربية تدعو المدافعين عن حيفا إلى تسليم أسلحتهم والخضوع لشروط "الهاغانا". وقد أثارت الأخبار عن أعمال العنف والقتل التي ترتكبها القوات الصهيونية، وخصوصاً بعد وقوع مجزرة "دير ياسين"، الرعب والخوف بين صفوف العرب الفلسطينيين، ودفعت مجموعات منهم إلى النزوح عن المدينة.

وبعد أن أبلغت سلطات الانتداب البريطاني ممثلي القيادات الصهيونية نيتها الانسحاب من حيفا، ودعتها إلى تأمين المرافق والأماكن الحساسة فيها، شنت قوات "الهاغانا"، في 21 نيسان/أبريل 1948، هجوماً واسعاً من مواقع ثلاثة على الأحياء العربية، بغية احتلالها بصورة كاملة وتطهيرها عرقياً من سكانها الفلسطينيين. وفي ليلة 22-23 نيسان/أبريل، سقطت هذه الأحياء في أيدي قوات "الهاغانا"، بعد مقاومة ضارية أبادها المقاتلون الفلسطينيون والمتطوعون العرب، وقامت القوات الصهيونية بإغلاق منافذ المدينة ولم تترك فيها سوى منفذ واحد نحو الميناء لتمكين العرب من الفرار عن طريق البحر إلى مدينة عكا وإلى مدينتي صور وصيدا في جنوب لبنان، بينما سهّلت القوات البريطانية فرار العرب عن طريق الباصات والشاحنات إلى شفاعمرو والناصرية. ولم يبق في حيفا، بعد السيطرة الصهيونية عليها، سوى 2500 إلى 3000 عربي تمّ تجميع القسم الأكبر منهم في وادي النسناس، ثم استولت السلطات الإسرائيلية على ممتلكات الذين نزحوا ووطّنت مهاجرين مكانهم، كما هدمت المدينة القديمة وأسواقها ومعظم الأحياء العربية خارج الأسوار.

للاطلاع على معلومات أشمل عن حيفا وسقوطها في أيدي القوات الصهيونية وتهجير سكانها العرب، يمكنكم الرجوع إلى مؤلفات ومقالات صدرت عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومنها:

مقالات

- "الوثيقة (3): سقوط حيفا"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 34 (ربيع، 1998)، ص 57-76.
- "ذكرى التهجير بعد خمسين عاماً (شهادات): الشهادة الأولى: أسعد أبو العردات"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 34 (ربيع، 1998)، ص 104-119.
- "ذكرى التهجير بعد خمسين عاماً (شهادات): الشهادة السابعة: جميل عبد الحق"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 34 (ربيع، 1998)، ص 148-152.
- منصور، جوني. "دور سكة حديد الحجاز في تطور مدينة حيفا"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 65 (شتاء 2006)، ص 44-59.
- "الصراع حول سكة الحديد الحجازية في حيفا"، حوليات القدس، عدد 4 (ربيع 2006)، ص 5-17.
- الخالدي، وليد. "عودة إلى سقوط حيفا"، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 96 (خريف 2013)، ص 382-414.

كتب

- الحاج إبراهيم، رشيد، "الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين: مذكرات رشيد الحاج إبراهيم، 1891-1953". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2005.
- منصور، جوني. "الخط الحديدي الحجازي: تاريخ وتطور قطار درعا-حيفا". القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2008.